الفصل السادس

الموت نهاية أم بداية

وبعد عزيزى القارئ، وبعد إستعراض بحثى المتواضع فى هذا الكتاب عن معتقد التجسد والتقمص، وإن كان لى من وجهة نظر ورأى أختم به هذا الكتاب، فهى إنه ينبغى أن أؤكد أولًا من وجهة نظرى كباحث طبى ومفكر أن التجسد والعودة للحياة الأرضية هو حقيقة لا تقبل الجدل، ولم أصل لهذا الرأى من خلال البحث العلمى أو الدراسات الموثقة فقط، ولكن أيضًا من خلال المنطق الواقعى. وينبغى أن أقول أيضًا إن أية محاولة للتأصيل العلمى لمثل هذه الظاهرة الهامة ينبغى أن تحيط أولًا بجميع الحقائق التى تكشف عنها دراسة الظواهر والآحداث الغير مألوفة، مثل التجسدات التامة والجزئية، وأبحاث العلاج الروحى والتنويم المغناطيسى، والتصوير الغير منظور الحديث، وروايات الأطفال عن الحيوات السابقة، وغيرها من الظواهر التى لا تقل عنها أهمية. وإن أى محاولة للتأصل العلمى الدقيق ينبغى أن ينطوى على إعطاء تفسير منطقى جامع لكل هذه الظواهر برمتها، حتى يمكن أن يوصف بأنه تأصيل له وزنه من الناحيتين العلمية والفلسفية.

ودعونا نبدأ من البداية أولًا، حقيقة مبدئية لهذا التفاصيل والتى تكاد تنحصر فى حقيقة واحدة وهى، الطبيعة الروحية للإنسان وللحياة بوجه عام. وهذه الحقيقة لا ينبغى التهوين منها، لإنها أصل الحقائق، كما هى أصل العقائد كلها، وأصل الفلسفات الراقية منذ فجر التاريخ حتى الآن. وعن طريقها يمكن أن نقول أن العلم الرسمى قد أقدم فعلًا على إحداث ثورة عارمة كفيلة بأن تطيح تدريجيًا بعدد هائل من الأخطاء الفادحة التى طالما ضللت الفكر والبحث عن الحقيقة لعقود وقرون طويلة، وقد آن لها أن تتوقف، وأن نتجه للبحث العلمى المنطقى المحايد لتأكيد وجود هذه الكينونة الروحانية المعجزة، وأن نأصل كل الظواهر المرتبطة بها من تجسد وتقمص وسمو عن المستوى المادى.

إن معطيات هذه الحقيقة الكلية لها أثار خطيرة على الفكرة والمعتقد الإنسانى. ولعل أخطرها كلها هو ثبوت خلود الإنسان عن طريق خلود روحه على وجه ما، وإنتفاء المعنى الحقيقى للفناء الروحى الإنسانى. إن هذه الحقيقة لطالما تطلع أمل الإنسان إلى محاولة إثباتها من قديم، لكنه لم يصل إلى هذا الهدف إلا عندما عرف كيف يتبع مقتضيات المنهج العلمى فى دراسة جميع ظواهر الإنسان بغير إستثناء، بما يتطلبه هذا المنهج من مثابرة، ومن حياء ومن تحليل ناقد لا يرحم (كما فى حالة ابحاث د. ايان ستيفينسون التى سبق أن إستعرضناها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب)، ومن روح منقبة لا تتراجع.

يقول الباحث القدير د. رؤوف عبيد فى كتابه عن التجسد: «إذا كان إكتشاف قانون الجاذبية، أو الكهرباء، أو الميكروبات، أو المضادات الحيوية، أو الأتصال اللاسلكى، أو الطيران، أو الإنشطار الذرى، أو الوصول إلى القمر والكواكب الأخرى فى الفضاء، يعد من معالم الطريق فى تطور الإنسانية الشاق الطويل ـ وكلها من ثمار إتباع المنهج العلمى بكل تبعاته القاسية وتضحياته الجسام ـ فإن اثبات الخلود وتجسد الروح الإنسانية فى عدد غير محدود من الحيوات هو أخطر المعالم لها».

إن العودة للتجسد عقيدة مفرطة فى أهميتها، وفى عمق آثارها التى لا تنتهى عند حد فى تفسير الكثير من الغاز الكون، وأسرار الإنسان. ومن حقنا أن نقول أنه ينبغى متابعة دراستها وتمحيصها بلا توقف مع الإحتفاظ بها كمبدأ أولى عام إلى أن نعثر على تأصيل علمى أفضل منها لكل هذه النتائج المتدفقة فى بحوث العلماء الجادين فى القرنين الآخيرين.

وقد عرض الكثير من الكتاب المتخصصين فى متابعة ابحاث ظاهرة التجسد، تقرير فى غاية الأهمية أصدرته «لجنه الخبراء الدوليين» ـ وهى أكبر هيئة علمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ والتى أقرت بعد دراسة هادئة وإحاطة شاملة بعناصر هذا الموضوع أن العودة للتجسد يمكن إعتبارها حقيقة ثابتة علميًا. مع الوضع فى الإعتبار إنه مما يزيد فى خطورة هذا الإعلان

التاريخى وآثاره المحتومة فى تطور المعارف الطبيعية والإنسانية، أن العودة للتجسد هى أم القضايا الروحية كلها. بل تقع فى القلب من العديد من القضايا العلمية التى تعالج تكوين الذات الإنسانية، وماضيها، ومستقبلها، وحقيقة موضعها من الوجود المحدود والغير محدود. وكلها تكشف عن حقيقة صلاتها بالنواميس الطبيعية للكون، هذه الصلات التى تقع فى الأساس من علم المنطق.

أما بالنسبة للأراء المعارضة والمناقضة للتجسد، فإن حتى مبادئ الإعتقاد الدينى نفسه لم تقف أبدًا موقف النقيض أو العداء من هذه القضية الكبرى كما سبق أن أوضحت فى الفصل الأول. لكن بالعكس لقد جاءت النصوص فى كثير من المواضع صريحة، واضحة لا تحتمل تأويلًا ولا إجتهاد مخالفًا طبقًا للقاعدة المأثورة التى تقضى «لا إجتهاد مع وضوح النص»!! وفى نفس الوقت، فإنه من الصعب أن يصادف الإنسان نصًا واحدًا ينفى «الوجود السبقى» أو «العودة للتجسد» فى الحياة العضوية بصورة واضحة، وذلك فى أى من الأديان السماوية التى سادت فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم.

ويتساءل الدكتور رؤوف عبيد فى نفس كتابه السابق سؤالًا آخر فى هذا المجال وهو: هل نجحت الفلسفة النظرية عن الروح والوجود فى تعليل مفارقات الدهر التى لا تحصى، ومظالمه التى لا تنتهى؟ هل وجدت الفلسفة النظرية حلًا مقنعًا لمشكلات العدل الإلهى، والآلم، والشر، والتخيير، والمصير..؟ أو ـ هل قدمت للعقل حلولًا أو أشباه حلول ـ فى هذه الأمور يطمئن إليها حقًا العقل الباحث عن الإقتناع، والقلب الباحث عن الإطمئنان؟

لقد قال الفيلسوف العظيم «هنرى برجسون»: (لو إنصرف العلم إلى شئون الروح أول ما إنصرف، لظل غير يقينى ولا دقيق مهما تقدم. ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب، وبين ما ينبغى أن يقبل قبولًا نهائيًا).. أما اليوم، فقد أصبحنا بفضل دراستنا العلمية الدقيقة نحس هذا التمييز، وإننا نستطيع أن نغامر بدون أن نتخوف من هذه الجزئية التى لم تستكشف بعد، جزئية الوقائع

الروحية. ويقينى أن علم الروح سيؤدى إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال. هذا ما توقعه فيلسوف كبير مثل «هنرى برجسون». وها هى الأيام تمضى منذ قال برجسون هذه الكلمات ذات المغزى العميق. وها هو كل يوم يمضى يثبت أنه كان على حق عندما دعا إلى التخلى عن أسلوب «ما وراء الطبيعة» إلى أسلوب إستكشاف الوقائع الروحية فى جرأة عاقلة وصلت إلى نتائج كثيرة تحف بها الخطورة فى جميع جوانبها مع تغلغلها إلى كل مناحى المعرفة التى يملكها الإنسان المعاصر.

لقد أعلن العالم النفسى الأشهر «كارل جوستاف يونج Karl G.Jung» وهو أبرز إسم فى علم النفس فى القرن الماضى، والذى تبوأت فلسفته النفسية مكانًا مرموقًا فى العلوم المعاصرة، أعلن بصيغة مطلقة أن الروح حقيقة واقعة لأنها تعمل بنشاط جم. ولأنها بذاتها حقيقة طبيعية لها قوانينها، وطاقاتها، وأسبابها، وأهدافها، وتطورها، ومسالكها الخاصة المتميزة تمامًا عن سائر الحقائق الطبيعية الأخرى. كما راح يعلن مرارًا وتكرارًا إنه عندما يتحدث عن أمر روحى فهو يتحدث فى نفس الوقت عن أمر حقيقى، رفيع، موجود من قبل. أو بالأدق رفيع من قبل أن يوجد..

فالروح من وجهة نظر «يونج» تحمل الحياة فى بنيانها العلمى، أى تمثل تسلسلًا حيًا، أو واقعة حية. ولذا فلا نعثر عليها أبدًا فى هذا البنيان بوصفها شيئًا منتهيًا أو منسيًا، ولا بوصفها شيئًا مستقرًا ولا ثابتًا، بل هى دائمًا حية وحاضرة. ولذا ركز «كارل يونج» كثيرًا على حيوية الذات بمفهوم واسع، مع الإشارة كثيرًا إلى إنها تعيش فى تسلسل حيوى وفى حركة وفى تطور، وإن هذا كله يجرى لها دومًا وبلا توقف. وبنفس المقدار ركز يونج على دور اللاشعور، وعلى القول بأن اللاشعور يصوغ الحياة. وأنه حتى بعد الوفاة فإن بمقدوره أن يواصل مهمته الثمينة، ألا وهى صياغة الحياة. فليس اللاشعور عنده مجرد ركيزة أو قاعدة للشعور أو للعقل الواعى، بل هو المصدر الأساسى الذى عنه يستمد الشعور طاقته اللازمة لوجوده المتواصل. وهكذا عثر على أمور عديدة هامة عن الحياة اللاشعورية، وقال إنه من المنتظر إستكشاف ما هو أهم منها مستقبلًا.

وهذا الإستكشاف كما يقول «يونج» هو الآن مهمة علم نفس الأعماق، أى علم الروح ـ فى الوقت الحاضر. وهو يسير فيها قدمًا بغير أن يتراجع أو يحيد عنها. وهو ما يلتئم مع الميول الراسخة، عند الشرقيين والتى تدفعهم دومًا إلى الإيمان نحو الروح وعالم الروح لإستلهام المزيد من المعرفة ومن الحكمة أيضًا فى تفهم المسيرة الإنسانية. ولمحاولة التعرف على حقيقة خطاها عندما تسير بين رحيل وعودة. ولهذه الإعتبارات محتمة راح «يونج» يعلن ـ فى وضوح وإصرار أن التضامن الإنسانى أصبح يفرض نفسه الآن بصورة متزايدة بوصفة الوسيلة الوحيدة لمجابهة الخطر الذى يتهدد المجتمع الدولى من التمزق إلى جماعات متعددة.

وكل جماعة منها تجرى وراء مصلحتها الخاصة، مع أن روابط من بنى البشر كان يلزم أن يقوم أساسًا على نمو الحب المتحرر الواعى فى مشاعر كل فرد ازاء الآخرين. كما يلزم أن تقوم على رفض كل صور التعصب المذهبى التى قد تحاصر مشاعرهم. وهكذا إمتلأت فلسفة «يونج» بالعديد من الخواطر عن العقل، والروح، والإنسان، والحب بين بنى البشر. وهى خواطر جميلة مؤسسة على نظرته الروحية الفاحصة إلى الوجود الإنسانى برمته، والتى أقام عليها مبادئ مدرسته «فى علم النفس التحليلى» لكى تخلف «مدرسة التحليل النفسى» التى شيدها زميلة السابق فى البحث والممارسة «سيجموند فرويد».

الموت نهاية أم بداية؟

أنقل هنا عن الحكيم الهندى «برمهنسا يوغانندا» أحد أعظم الحكماء الهنود هذه الكلمات ذات المغزى العميق: «على مدى السنين، بحثت بحثًا دقيقًا متواصلًا إلى أن توصلت إلى معرفة أحد أسرار الحياة والموت، وما إذا كانت النفوس تعود إلى التجسد بعد مفارقتها أجسادها البالية. بالنسبة لمعظم الناس، تلك تبدو فكرة ليس أكثر، أو محض إعتقاد لإنعدام البرهان كما يقولون. لكننى لا أتحدث من منطلق الإعتقاد وحسب، إذ وجدت الدليل على الحياة بعد الموت وعلى العودة إلى التجسد. ولذلك أستطيع أن أؤكد هذه الحقيقة

من تجربتى الشخصية. فمع أن الإنسان ينظر إلى الموت برعب وحزن، فإن الذين سبقونا إلى تلك العوالم السعيدة يعتبرون الموت تجربة رائعة من الفرح والسلام والحرية. ما أروع الحياة بعد الموت! إذ لا ضرورة لحمل هذه الحزمة الثقيلة من العظام مع كل ما يرتبط بها من الآم ومشاكل. النفوس فى العالم الأثيرى تحتفظ بوعيها وتسعد بتحررها من كل العوائق الفيزيقية عند الموت ينسى الإنسان محدوديات الجسد المادى ويدرك كم هو حر طليق. يوجد هناك إحساس بالخوف لبضعة ثوان، وهو ناتج عن الخوف من المجهول. الخوف من شيء غير مألوف بالنسبة لوعى الإنسان. لكن بعد ذلك تختبر النفس معرفة عظيمة وتحس بفرح غامر للإنعتاق من كل القيود، لاسيما الإحساس بالوجود خارج القفص الجسدى.

ليس هناك ما يدعو إلى الخوف، لإنه ما لم يمت الإنسان فهو مازال حيًا، وعندما يموت تكون النهاية ولن يبقى عندئذ من شيء يستحق الخوف. فالموت تجربة عامة، تغيير يمر به كل إنسان، فلنعز أنفسنا بأن الموت يحدث للجميع، وأنه بمثابة فترة إستراحة من أعباء الحياة وهمومها. الموت إذن تجربة ممتعة، ولكن يجب ألا يتمنى الإنسان الموت هربًا من دروس الحياة القاسية فى مدرسة الحياة هذه فالهروب خطأ. ومهما كانت ظروف الإنسان على هذه الأرض يجب أن يواجهها بجرأة وشجاعة. وعندما ينجح فى مواجهة الحياة، هنا يكون الموت بمثابة جائزة مستحقة عن جدارة. إذن الموت ليس نهاية، بل تحرر وقتى يمنحه قانون العدل الإلهى (الكارما) للنفوس عند ادائها وظائفها خير اداء، أو عندما ينهك الألم قواها فلا تقوى على تحمل العيش ومواصلة السير.

إن الموت بالنسبة للتألمين (والمتأملين) هو بمثابة بعث جديد من عذابات الجسم الأليمة إلى حالة من السكينة واليقظة والسلام. إنه بمثابة مرحلة تقاعد مستحق بعد عمل دؤوب وكفاح متواصل للإنسان على مدى سنين طويلة. وبالنسبة لكل البشر، فهو بمثابة راحة منتظرة ومرحب بها. لكن اثناء تلك الراحة تستيقظ اثناءها الرغبات العميقة والدفينة للروح، والتى لم يتم تحقيقها اثناء الوجود الأرضى، فتشعر النفس بضرورة تحقيقها. وعندما تصبح تلك الرغبات

قوية بما فيه الكفاية، تنجذب الروح مرة أخرى إلى الأرض، فتتجسد بالولادة من جديد وهذه هى مرحلة العودة للتجسد.

إن ذاتنا الحقة أو روحنا هى خالدة فى جوهرها. فقد يحدث سكون لأرواحنا لفترة ما بفعل ذلك التغيير الذى يدعى موتًا، ولكن مستحيل أن تفنى هويتنا الذاتية. إننا موجودون، ووجودنا هذا أبدى. أننا كالموجة تأتى إلى الشاطئ ثم تعود إلى البحر دون أن تفقد جوهرها، بل تتوحد مع المحيط الكونى، وسيتلاشى، لكن جوهر الروح الذى يقطن الجسد لن ينعدم طوال الأبدية. لأن فناء ذلك الجوهر الإلهى لهو أمر مستحيل.

إن الموت يأتى للإنسان بعد حياة طويلة مليئة بالكفاح والجد والأجتهاد كترقية إلى حالة ومرتبة أعلى. وبالنسبة للفاشلين، يأتى أيضًا لمنحهم فرصة جديدة فى بيئة جديدة لإعادة الكرة وإحراز النجاح. إن الموت غير المستنيرين من البشر يجدون فى الموت جدارًا سميكًا يوارى للأبد أصدقاءهم وأغراءهم وراءه. أما المتحررون من التعلقات فى الحياة الأرضية والرغبات الأنانية، الذين يحبون الآخرين كتعبيرات بشرية لله، يدركون أنه فى الموت يعود أحباؤهم إلى الله ليتنفسوا فى فضائه الرحب أنسام الحرية والسعادة النقية. إن هذه الحياة البشرية ليست كل ما فى الوجود بل هى مجرد حلقة فى سلسلة العلاقة الأبدية التى لا تنقطع.

نظرية العودة إلى التجسد يمكن إثباتها علمياً

يقول الفيلسوف والحكيم الهندى «برمهنسا يوغانندا» أيضًا إنه إن كان الإنسان يؤمن بوجود رب عادل فى الكون، فإنه سيصبح من السهل عليه تقبل فكرة العودة إلى التجسد لأن كلا المفهومين يعتمد أحدهما على الآخر. بالطبع هناك متشككين وملحدين، هل يمكن برهنه حقيقة العودة إلى التجسد عمومًا بأسلوب علمى على نحو يرضيهم؟ وهل يمكن إخضاع نظرية العودة للتجسد إلى التحليل العلمى المنطقى الدقيق، ليس لإعطاء الأمل وحسب بل لتقديم البرهان أيضًا على حقيقتها.

إن معظم العلماء الماديون يزعمون كما سبق أن إستعرضت فى الفصول السابقة إنهم لم يعثروا بعد على أى برهان مادى فعلى على وجود ظاهرة التجسد، ولهذا لا يمكنهم تقديم أية بينة عن وجود قانون يحكم التجسد. إن الآم الأطفال الأبرياء والظلم وإجحاف الحياة كلها تبدو لمثل أولئك العلماء أمورًا مبهمة لا يمكن تعليلها، وتشير بالنسبة إليهم، إلى غياب قانون عادل يحكم هذه المتغيرات فى الحياة الأرضية.

من ناحية أخرى، فإن معظم الذين يؤمنون فى إله عادل منصف يؤسسون قناعتهم على الإعتقاد وحسب، وليس لديهم إثبات لتقديمه إلى غير المؤمنين. إنهم لا يجروؤن فى معظم الأحيان على تمحيص إيمانهم أو إخضاعة للإستجواب المنطقى خوفًا من فقدانه أو خلق بلبلة إجتماعية هم فى غنى عنها. وبعبارة أخرى، فهم ليسوا على معرفة بوجود ناموس روحى علمى يمكن أن يثبت صدق معتقدهم. ولكن السؤال الهام الذى يبرز هنا على بساط البحث بنفس الطريقة التى توضع فيها أساليب التجريب المستعملة من قبل علماء المادة لغرض الكشف عن الحقائق الطبيعية؟ هذا السؤال تم طرحه منذ قرون من قبل علماء الهند الروحيين، فتطوعوا للإجابة علية. ونتيجة لذلك فقد أسفرت تجاربهم عن أساليب علمية يمكن إستخدامها من قبل أى إنسان لإماطة اللثام عن القانون والناموس الروحى. وبالتالى عن العودة إلى التجسد، وعن كل حقيقة كونية عظمى. ومادامت وسائل الإثبات موجودة، فليس لأحد الحق بالقول أن العودة إلى التجسد والقوانين الروحية الأخرى هى غير صحيحة ما لم يكن قد جرب الأساليب ورأى الحقائق والنتائج بعينه. إن لعالم الطبيعة المتشكك الحق فى الإعراب عن رأيه، لكنه يبقى مجرد رأى وليس حقيقة.

إن العلوم الطبيعية تحتاج إلى إعتماد وإتباع إجراءات محددة من أجل البرهنة على أية نظرية يتم طرحها على بساط البحث. إن الجراثيم مثلًا غير منظورة للعين المجردة، ولذلك يتوجب على الإنسان إستخدام المجهر كى يتمكن من معاينتها. أما إن رفض أحدهم النظر خلال المجهر فلا يمكن القول بأنه فحص وبحث النظرية القائلة بوجود الجراثيم. وبناء عليه، فإن رأيه يعتبر لا وزن له

لأنه لم يتبع القواعد التى ينصح بإستخدامها من أجل التوصل إلى إثبات حقيقة النظرية.

ونفس الشيء ينطبق على الروحانيات. فالأساليب تم إستنباطها، والقواعد تم وضعها، والنتائج معروضة أمام كل من يمتلك الرغبة الكافية للتجريب. ففى العالم الغربى مثلًا، ونظرًا لعدم توفر الطريقة العلمية لبحث القوانين الروحية، فقد تضاءلت قيمة الدين كثيرًا بصفته عاملًا حيويًا فى حياة الإنسان. فالمذاهب الروحية يتم إعتناقها أو رفضها بما يتناسب مع الإعتقاد الفردى بدلًا من إعتبارها محصلة أكيدة للدراسة العميقة والبحث الروحى المنهجى.

والسؤال هنا، كيف تسنى لحكماء الهند القدامى الكشف عن هذه القوانين والنواميس الكونية الغير خاضعة للتغير أو التبديل؟ لقد تم ذلك من خلال إجراء التجارب على حياة وفكر الإنسان فى مختبرات صوامعهم. لكى نقف على ماهية الأشياء الطبيعية، يجب أن نجرب بالمواد الطبيعية. وبالمثل، للعثور على حقيقة العودة إلى التجسد أو مرور وعبور الروح، نفس الروح، فى أجساد عديدة، فإنه يصبح من الضرورى إجراء التجارب على وعى الإنسان.

هؤلاء العلماء القدامى وجدوا أن الذات البشرية تظل هى نفسها طوال عمر الإنسان، دون أن يطرأ عليها أى تغيير بالرغم من التجارب المختلفة وتقلبات الفكر إبان حالات اليقظة والحلم والنوم غير الحالم. لقد إكتشفوا أن الإنطباعات الحسية تغيرت، والبيئة والأفكار والحالات الجسدية كلها تغيرت، لكن الشعور بالذات أو (الأنا) لم يتغير إطلاقًا من الولادة حتى الموت. إن علماء الهند التجريبيون أكدوا إنه بالتركيز الدقيق على الذات من خلال مراقبتها مراقبة متواصلة وواعية ومستقلة عن الحالات المتغيرة لليقظة والأحلام والنوم غير الحالم، يستطيع الشخص أن يدرك الطبيعة الثابتة والأزلية للذات. إن الإنسان غالبًا ما يكون على دراية بحالة من تلك الحالات. يكون على دراية واعية اثناء اليقظة، وأحيانا قد يكون أيضًا على دراية بحالته الحالمة. وليس من غير المألوف أن يشعر اثناء الحلم بأنه يحلم.

وبواسطة بعض الأساليب والممارسات يستطيع أن يحتفظ الشخص بإدراك واعى لكل حالة من الحالات المذكورة أعلاه. بل وقد يتمكن أيضًا من إدراك الحالة الرابعة، وهى حالة الوعى السامى للفرحة.

اثناء النوم يحدث إسترخاء لا إرادى حيث يتحلل النشاط بين الأعصاب والحواس. وبالممارسة يستطيع الشخص أن يستحدث هذا الإسترخاء اثناء حالة اليقظة وبالإرادة. فى النوم الأكبر أو الموت يحدث إسترخاء كلى حيث تنسحب طاقة الحياة من القلب والمحاور الفقرية للجسد. وبالتأمل العميق يمكن إحداث هذا الإسترخاء التام بصورة واعية فى حالة اليقظة. وبعبارة أخرى فإن كل وظيفة جسدية لا إرادية يمكن التحكم بها بصورة إرادية وواعية بواسطة تمرينات تأملية خاصة.

لقد إستنتج حكماء الهند القديمة كما يذكر «يوغانندا»، إن الموت هو إنسحاب كهرباء الحياة من مصباح الجسد البشرى بما فيه من أعصاب وإحساسات وقنوات لا تحصى لقوة الحياة. وكما أن الكهرباء لا تموت لدى إنسحابها من مصباح كهرباء محطم، هكذا لا تفنى قوة الحياة عند إنسحابها من الأعصاب اللاإرادية. مستحيل أن تفنى الطاقة. إنها تنسحب من الجسد عند الموت وتعود إلى الطاقة الكونية. إن العقل الحسى يتوقف اثناء النوم عن العمل حيث ينسحب التيار مؤقتًا من الأعصاب. وعند الموت يتوقف الوعى البشرى تمامًا عن الإعراب عن ذاته من خلال الجسد الذى يشبه عندئذ ذراعًا مشلولة يشعر صاحبها بوجودها لكنه يعجز عن التحكم بها أو العمل من خلالها. إن هناك سجلات طبية موثقة تصف حالة رجل دين دخل حالة غيبوبة، وقد ذكرت بعد ذلك، أى بعد أن أفاق من هذه الغيبوبة، أنه سمع الجميع من حولة يندبون موته الظاهر لكنه لم يقو على الإعراب عن شعوره من خلال أعضاء الجسد. فآلته الجسدية كانت قد توقفت فجأة ورفضت الإستجابة لأوامره العقلية. وبعد أن أمضى أربعًا وعشرين ساعة فى تلك الحالة، وكان على وشك أن ينقل للدفن بذل مجهودًا جبارًا وتمكن من الحركة وفتح عينيه. هذه الحادثة وغيرها توضح إستمرارية الشعور بالأنا مع أن الجسد يبدو فاقد للحياة.

يقول الحكماء دائمًا أنه ينبغى للشخص أن يفصل النشاط والوعى عن الجسد بصورة واعية وأن يراقب حالة النوم بصورة واعية أيضًا، ويمارس إنسحاب النشاط الواعى الإرادى من القلب والمراكز الفقرية. وبذلك يتعلم القيام بكيفية واعية بما سيفرضه عليه الموت بغير وعى منه ولا إرادة. إن النشاط الحيوى يدخل الجسم البشرى عن طريق النخاع المستطيل ويتم تخزينه فى مستوى الدماغ. بعد ذلك ينحدر إلى خمسة مراكز أخرى للحياة والوعى فى العمود الفقرى حيث يتم توزيعه على أعضاء الإدراك الحسى وباقى أعضاء الجسد الأخرى.

عند حدوث الموت، ينسحب النشاط الحيوى إنسحابًا تامًا ونهائيًا إلى العمود الفقرى ويغادر الجسد عن طريق النخاع المستطيل. إن ممارس اليوجا الخبير بوسائلها وتقنياتها يستطيع سحب النشاط الحيوى بإرادة ووعى من الجسد والحواس إلى العمود الفقرى وإرساله إلى أعلى مراكز المدركات المتطورة، حيث يشعر بسرور أنه فى حكم «الميت» علميًا، أى يتحرر تمامًا من الأوهام الحسية الناجمة عن الإرتباط بالوعى الجسدى المحدود.

إن هناك حالة موثقة طبيًا فى سجلات أطباء فرنسيين وأوروبيين آخرين عن رجل يدعى «سادهو هاريداس» وهو هندى، وكان يعمل فى بلاط الأمبراطور الهندى «راجنيب سنغ»، تثبت أن «سادهو هارنيداس» تمكن من فصل نشاطه الحيوى ووعيه عن الجسد ثم وصل الأثنين ثانية بعد بضعة أشهر. لقد دفن جسده تحت الأرض، ووضعت مراقبة صارمة على المنطقة لعدة شهور على مدار الساعة. وبإنتهاء تلك المدة، تم نبش قبره وإخراج جسده وفحصه من قبل الأطباء الأوروبيين الذين أعلنوا أنه ميت. لكن بعد بضع دقائق من ذلك الإعلان، فتح عينيه وإستعاد السيطرة على كل وظائف جسده، وعاش سنينًا عديدة بعدها.

لقد تعلم هذا الرجل بالممارسة كيفية التحكم بكل الوظائف اللإرادية بجسمه وعقله. لقد كان عالمًا روحيًا أجرى تجارب روحية موصى بها من قبل الحكماء لمعرفة حقيقة الناموس الكونى. ونتيجة لذلك فقد تمكن من إثبات إستمرارية ذاتية الإنسان بعد الموت وعدم فناء جوهره كروح خالد. الذين يرغبون فى

البرهنه لأنفسهم عن الحقيقة العلمية لمذهب العودة إلى التجسد يجب أن يثبتوا أولًا إستمرارية الوعى بعد الموت وعن طريقة فصل الجسد عن الروح بكيفية واعية. هذا يمكن فعلة بإتباع القواعد التى وضعها علماء الروحانيات منذ عصور. عندما يتعلم الإنسان كيف يكون يقظًا اثناء النوم وأن يجذب الأحلام بالإرادة ويفصل الحواس الخمس فصلًا واعيًا لا سلبيًا كما يحدث اثناء النوم، وعندما يتعلم كيفية الحكم بوظيفة القلب، هندها سيتمكن من إختبار الموت الواعى أو غيبوبة الجسد وليس غيبوبة الوعى.

يقول حكماء الهند أن الذات هى على دراية واعية بنفسها فى كافة أطوار ومراحل الطفولة والشباب والشيخوخة. فالنفس المتجسده هى دائمة الوعى بكل الحالات المتعاقبة التى يختبرها الإنسان، بما فى ذلك الحصول على جسد آخر بعد الموت والتنقل ما بين العالمين المادى والأثيرى. هذه الحقيقة لا يختلف عليها الراسخون فى علم الروح. وبممارسة الطرق المؤدية إلى الحالات الأربع السابق ذكرها، يمكننا تعقب الذات فى حالات وجودها، ونستطيع تتبعها بصورة واعية اثناء الموت وفى تجوالها فى الفضاء الكونى وعودتها إلى الحياة فى جسد جديد. الذين لا يعلمون هذه الأمور لا يقدرون على الإحتفاظ بوعيهم خلال النوم الأكبر: الموت. وهكذا لا يستطيعون تذكر أى حالة سابقة حدث لهم، ولا حتى حالات النوم العميق اثناء حياة واحدة.

وبتبنى أساليب علماء الهند القدامى الذين إختبروا تلك القوانين وأثبتوا صحتها، وأهدوا للعالم معرفة نفيسة قابلة للأثبات، يستطيع المرء أن يطلع على مبادئ الحقيقة العلمية للعودة إلى التجسد وعلى الكثير من الحقائق الأزلية الأخرى المرتبطة بها.

الموت والحياة ودور التجسد

لقد لخصت وجهة النظر العلمية فى الموت والحياة على أساس سنوات من البحث النفسى العلمى الدقيق فى الإستنتاجات التالية:

أن البشر هم أساسًا كينونات غير مادية ملتحمة بأجساد مادية وهم جزء من الطبيعة، وإن جوهر البشرية هو الوعى الذاتى، وهذا الجوهر هو الذى ينجو من الموت الجسدى.

إن وحدات الروح البشرية تتواجد بعد الموت على المستويات المتفاوتة للوعى فى أبعاد تتجاوز طيف الضوء المادى وبعيدًا عن متناول الإدراك الحسى المادى.

أن الإتصال مع النفوس والأرواح التى غادرت أجسادها ممكن تحت شروط وظرو معينة.

أن الروح البشرية فى سبيلها للتطور تتجسد بشكل دورى فى دورات حياتية متتالية.

أن الروح البشرية تدخل فى دورات التجسد المتتالية هذه وفقًا لقانون السببية أو رغبة الروح.

وفقًا لمختلف التقاليد والخبرات الميتافيزيقية والإكتشافات العلمية الحديثة، فإن الروح البشرية لا تفنى، والخبرات التى تشكلت فى إطار الحياة الأرضية المادية لا تتوقف عند إنتهاء التجسد كما يعتقد عامة الناس، وإن التطلعات والأهداف والطموحات الإنسانية لا تنتهى بإنتهاء الحياة القصيرة نسبيًا للإنسان. ولكل ذلك فقد بدأ الكثير من العلماء النفسيين البدء فى تنمية إستراتيجية نفسية تساهم فى إزدهار الروح الإنسانية فى تجسداتها المستقبلية. إن أول مبادئ هذه الإستراتيجية هو عدم التمسك بالشكل المادى والحياة الدنيوية المادية بشكل كامل، بل محاولة الإستفادة والإستزادة من الخبرات المكتسبة اثناء هذه الحياة وذلك لغلق عملية انتقال سلمى وسهل للدورات الحياتية المستقبلية.

إن البشر قد يخشون الموت، وهذا خطأ فادح يرتكبه الإنسان فى حق نفسه. يجب علينا تثقيف الإنسان فى حياته الأرضية وتدريبه على معرفة المعنى الحقيقى للموت وإنه يجب أن يكون على علم بأهم مبدأ من مبادئ وحدة الكيان الذاتى

للروح اثناء وبعد الموت وهى حالة وعى الموت. وهذا يتم عن طريق تحويل مفهوم الموت عند الإنسان العادى من المفهوم والمستوى الغيبى إلى مستوى أعلى من إيقاظ الوعى بالموت، وتنقية الروح من الشوائب النفسية المتعلقة بهذه المرحلة داخل العقل الباطن الإنسانى. إننا يجب أن نشكل منهج نفسى تثقيفى جديد يدخل مكونات معرفية وإدراكية أكثر للروح الإنسانية وهى على قيد الحياة الأرضية بحيث تصبح أكثر إقترابًا ومعرفة بالجانب الروحى لها وليس الجانب المادى السائد الآن. إن الإنسان عندما يخشى الموت إنما هو يصبح مقيد الوعى، غارقًا فى المجهول، وهو جهل مصدره خوفه. إن تحديد معنى وهوية الموت وشرح معنى التجسد وإرتباطة بمرحلة الموت، يعتبر خطوة أولى هامة ومثالية لإزاحة القيد الفكرى والنفسى لوعى الإنسان عن الموت ومرحلة ما بعد الحياة الأرضية. إن معرفة مفهوم عدم فناء الروح الإنسانية، والوعى به، يتطلب تغيير عدد من المفاهيم البشرية والمعتقدات والمواقف والمشاعر التى ترسخت فى وعينا لفترات طويلة من عمر الإنسانية. وهذا النوع من التغيير يتطلب الكثير من العمل النفسى والروحى والذى يجب أن يتم تدريجيًا مراعيًا البناء الروحى الحالى للإنسان وصراعه بين الإرتباطات بالمبادئ الدنيا والعليا وذلك لضمان إستمرارية الوعى الإنسانى فى الإتجاه الصحيح، ويتطلب أيضًا محاولة التخلص من الوعى البشرى فى الوقت الحالى، وإبادة أى مفهوم زائف مرتبط بمرحلة الموت وما بعده، وذلك لمحاولة تصحيح الفكر والوعى الإنسانى ومحاولة إعادته للمسار الصحيح وليصبح أكثر قابلية للحياة الصحيحة من الناحية الروحية وليست المادية. إن ما نسميه الموت هو الوهم بعينه، أو كما قال الشاعر الطاوى العظيم: «شوانج تزو»: «الولادة ليست بداية، والموت ليس غاية».

وأنا من وجهة نظرى كباحث ومفكر أن خوف الإنسان من الموت يسرق ببساطة طاقاته الجسدية والعاطفية والعقلية والروحية، الطاقات التى يمكن أن تستخدم لأغراض بناءة وخلاقة أكثر عند الروح الإنسانية المستنيرة. عند المعرفة الحقيقية للإنسان المستنير لطبيعة الموت وحقيقة، مثل سقراط، سوف لا يخشاه، وهذه المعرفة والفهم والتنوير لسوف تساعد الإنسانية فى العيش حياة

وفيرة زاخرة متفائلة بالتغيير والتطور الإيجابى. إن إبقاء وترك عاطفة الخوف من الموت الحالية المتأصلة فى الإنسان له أثر مدمر للنفسية الإنسانية، ولوعى الروح اثناء الحياة وبعد الموت. لقد لخص علماء الطب النفسى المتهمين بدراسة الوعى الذاتى الإنسانى الخاص بالموت العديد من المبادئ التى تساعد المرء أن يموت دون خوف، مثل:

عدم التركيز على الشكل المادى للحياة وفك الإرتباط بين الإنسان وممتلكاته وعلاقاته الدنيوية.

فهم أن الموت أمر طبيعى، وأنه لا ينهى طموحات المرء.

فهم وإدراك لحقيقة الطبيعة الإلهية الخالدة.

الإعداد المكثف للنفس والروح من خلال الممارسات الروحية مثل التأمل، وتنقية النفس، وإكتساب الرحمة والعطف من خلال الخدمات الإنسانية وعمل الخير.

الإندماج الكامل فى ثنائى الخير الإنسانى: الحب والرحمة.

إن معنى الموت تبعًا للمفهوم الصوفى: «الموت صديق وليس عدو»، يمنح للإنسان فترة من الرحة نحن فى أمس الحاجة إليها، حتى يمكن التحاور مع أنفسنا فى معركة الحياة عن طريق تجسد آخر جديد محملًا بالخبرات القديمة. إن الجزء الهام من مفهوم التجسد لمرات ومرات هو كيفية إستعياب التجارب، وهل تعلمنا الدروس الكامنة فى كل تجربة من تجارب التجسد. إن الحياة قد تشكلت على القالب الأرضى الذى نعيش فيه لغرض تشجيع الروح لإكتشاف الغرض الحقيقى من وجودها وكينونتها.

إذن، فالدروس المستفادة من الوصول إلى مفهوم دورات التجسد الإنسانى هو إنه يجب علينا أن نطور من مفهومنا عن الحياة والموت وأن نكون أكثر علمًا ووعيًا لمستويات اللاوعى العقلى، حتى نتجاوز مستويات التدنى النفسى والفكرى عن مفهوم الحياة والموت. ولكى نلخص النقاط الأساسية التى يجب أن نحاول أن نتعمق فى فهمها وتغيير مفاهيمنا عنها، وهى:

تنمية وتقوية الوعى الشخص الذاتى للإنسان اثناء حياته.

الوعى الكامل بعملية إنتقال الروح من مرحلة الحياة الأرضية إلى حياة البرزخ ثم التجسد مرة أخرى.

الوعى الناضج بطبيعة الحياة بعد ما يسمى بالموت.

إن الكثير من الحقائق المرتبطة بهذه المفاهيم الهامة قد تم تشويهها عن طريق الأساطير والتقاليد الغير صحيحة والتى شوهت الحقائق الروحية تمامًا وخلقت حالة جمعية من الجهل والخوف المرتبط بعملية الإنتقال الروحى فى دوراته التجسدية الطبيعية. ولكننى فى النهاية، أثق تمامًا بأن الإستمرار فى البحث فى موضوع التجسد، وطبيعة الموت، والحياة الروحية بعد الموت، سوف يصحح كل المفاهيم العقلية والنفسية والروحية للإنسان، وسوف يتحول الموت إلى مناسبة ووقت للإحتفال وليس وقتًا للحداد كما كان الحال وما يزال.

أننى آمل فى النهاية أن أكون قد نجحت فى شرح مفهوم التجسد، والإقتراب من مفهوم الموت الغامض، ومحاولة إزالة مخزون الخوف من الموت الذى يسحق المجتمع الإنسانى، وزيادة وعيه عن التقدم العلمى والنفسى الذى تم تحقيقه حديثًا فى هذا المجال الهام، إننى واثق أن جهدًا علميًا وفلسفيًا مستمر من جانب الباحثين الجادين فى هذا المجال سوف يزيل كل ما هو خفى وغامض بشأن جوهرنا الروحى وسوف يقدم تفسيرات أكثر دقة وإجابات أكثر وضوحًا لمعظم الأسئلة الخاصة ببداية ونهاية الإنسان، وبسر وجوده، وبإكتشاف كل ما هو خفى فى نفس وعقل وروح الإنسان، وهذا ما سوف نبحث فيه إن شاء الله بكتابى القادم والذى أعتبره الجزء الثالث والمكمل والآخير فى ساسلة كتاباتى عن: الروح ـ التجسد ـ سر الوجود. آملًا أن أجيب عن بعض الأسئلة التى غابت عن دراستى عن الروح الإنسانية، وأننى اتطلع بإذن الله فى كتابى القادم: «لغز الإنسان وسر الوجود» إستكمال بحثى المتعمق فى الروح وطبيعتها ومسارها اللانهائى وسبر أغوارها بإذن الله.

والله الموفق